عاش مع «أبو عمّار» وتعايش مع «أبو مازن»

خيرالله خيرالله
إعلامي لبناني

تجسّد شخصية الدكتور صائب عريقات رئيس دائرة المفاوضات في منظمة التحرير الفلسطينية، الذي توفّي قبل أيّام عن 65 عاما في مستشفى إسرائيلي، الدائرة المقفلة التي تدور فيها القضيّة الفلسطينية منذ عقود عدّة، منذ توقيع اتفاق أوسلو في العام 1993 تحديدا.

بغض النظر عن الظروف التي أدّت إلى توقيع اتفاق أوسلو، من اللافت التوقف عند أمر في غاية الأهمّية. هذا الأمر يعبر عنه صائب عريقات أفضل تعبير، وهو يتلخّص بعبارة واحدة هي: المفاوضات من أجل المفاوضات. هل هناك في نهاية المطاف مهنة اسمها مهنة التفاوض؟ هناك مهنة اسمها طبيب أو مهندس أو محام أو فرّاش... أو دهّان. لا توجد مهنة اسمها مفاوض لمدى الحياة أو "كبير المفاوضين". ما نفع المفاوضات في حال لم تؤدِ إلى الهدف المطلوب؟

كان ظهور صائب عريقات كعضو في الوفد الأردني – الفلسطيني الذي شارك في مؤتمر مدريد للسلام في أواخر العام 1991 حدثا لافتا. جلس في مقعده وعلى كتفيه الحطّة الفلسطينية. أثار ذلك وقتذاك غضب الجانب الإسرائيلي الذي هدّد بمقاطعة جلسة افتتاح المؤتمر، لكنّ التدخل الحازم الحاسم لجيمس بيكر وزير الخارجية الأميركي حال دون ذلك.

بقي صائب عريقات في مقعده مع الحطّة الفلسطينية كي يؤكّد أن ليس في الإمكان إلغاء الفلسطينيين وفلسطين. ما لبث الفلسطينيون أن خرجوا من الوفد المشترك مع الأردن ودخلوا في مفاوضات سرّية مع الإسرائيليين في أوسلو. تولّى ياسر عرفات، الزعيم التاريخي للشعب الفلسطيني، تغطية المفاوضات السرّية التي نجم عنها اتفاق سمح له بدخول البيت الأبيض من جهة، والعودة إلى أرض فلسطين التي دفن فيها من جهة أخرى.

كانت شخصيّة صائب عريقات، وإن من باب الزخرفة، جزءا من تلك المرحلة التي تميّزت بفقدان المعرفة الدقيقة لدى عرفات بالداخل الإسرائيلي وطريقة تصرّف الإسرائيليين أوّلا وباللعبة السياسية في واشنطن ثانيا

ارتبط اسم صائب عريقات بالمفاوضات منذ 1991. تميّز بأنّه كان يعرف بأدق تفاصيل الاتفاقات مع إسرائيل، كان يعرف كيف يفاوض وكيف يجادل ولكن في نهاية المطاف، كان القرار عند ياسر عرفات ثمّ عند خليفته محمود عبّاس (أبو مازن) الذي لعب دورا محوريا في الوصول إلى اتفاق أوسلو. كان الاحتفال بتوقيع اتفاق أوسلو في حديقة البيت الأبيض في عهد الرئيس بيل كلينتون.

لا يتحمّل صائب عريقات أي مسؤولية في وصول الوضع الفلسطيني إلى ما وصل إليه في السنة 2020.

كان عليه المحافظة على موقعه في ظلّ التغييرات الكبيرة التي حصلت في الإدارة الفلسطينية بعد وفاة "أبو عمّار" قبل ستة عشر عاما في الحادي عشر من تشرين الثاني – نوفمبر 2004 وحلول "أبو مازن" مكانه على رأس قيادة منظمة التحرير الفلسطينية و"فتح" والسلطة الوطنية الفلسطينية في آن.

استطاع صائب عريقات القيام بالنقلة المطلوبة، خصوصا أن محمود عبّاس لا يطيق إحاطة نفسه بأيّ شخصية ذات وزن فلسطينيا أو إقليميا أو دوليا. كان ولا يزال مصرّا على أن يكون حوله أشخاص مطيعون من دون طعم أو رائحة أو موقف. عرف صائب عريقات كيف التكيّف مع "أبو مازن" إلى أبعد حدود، وهذا ما لم يستطع كثيرون غيره فعله. ترقّى إلى موقع أمين سر اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية وبقي مسؤولا، وإن اسميا، عن المفاوضات مع إسرائيل، على الرغم من عدم وجود مثل هذه المفاوضات وحلول حملة استيطان واسعة مكانها.

ستمرّ سنوات طويلة قبل معرفة هل فوّت ياسر عرفات فرصا أتيحت أمامه أم لا في مرحلة ما بعد أوسلو؟ لكنّ الأكيد أنّ هناك مرحلة في غاية الأهمّية مرّت منذ العام 1993. كانت شخصيّة صائب عريقات، وإن من باب الزخرفة، جزءا من تلك المرحلة التي تميّزت بفقدان المعرفة الدقيقة لدى ياسر عرفات بالداخل الإسرائيلي وطريقة تصرّف الإسرائيليين أوّلا وباللعبة السياسية في واشنطن ثانيا وأخيرا. في مرحلة ما بعد أوسلو، لم يعد كافيا إتقان لعبة العلاقات العامة التي كانت اختصاصا عرفاتيا بامتياز ولم تعد جائزة إضاعة أي فرصة لإقامة علاقة في العمق، تحت عنوان الصدق، مع واشنطن.

تكمن أهمّية صائب عريقات في أنّه استطاع العيش مع "أبو عمّار" والتعايش مع "أبو مازن". كان في كلّ وقت رمزا لإحدى المرحلتين. ما لا بدّ من الاعتراف به أنّه كان هناك تفاوض في أيّام "أبو عمّار"، في حين لم يعد هناك أي أمل بتسوية جدّية بعدما بدأ عهد اليمين الإسرائيلي ووصول أرييل شارون إلى موقع رئيس الوزراء مطلع العام 2001، قبل سنوات ثلاث من وفاة ياسر عرفات في ظروف غير غامضة، على العكس مما يتوهّمه كثيرون.

ما الذي ينتظر الفلسطينيين في مرحلة غياب المفاوضات وذلك قبل غياب من كان يسمّى "كبير المفاوضين"؟

تبقى الحاجة إلى مواقف شجاعة تسمّي الأشياء بأسمائها مع ما يعنيه ذلك من بحث عن كيفية إيجاد قيادة جديدة، شابة نسبيا، في الضفّة الغربية تستند إلى شرعية شعبية مستمدّة من انتخابات حرّة. لا أمل في الوقت الراهن في أيّ تغيير في غزّة حيث لن تنفع الانتخابات بوجود سلاح "حماس" الموجّه إلى صدور أهل القطاع... وليس إلى إسرائيل في طبيعة الحال. مثل هذه القيادة الفلسطينية الجديدة في الضفّة تستطيع التعاطي مع المستجدات الإقليمية والدولية من دون عقد. تستطيع مثل هذه القيادة القول لـ"حماس" إن كلّ ما قامت به إلى اليوم صبّ في خدمة المشروع الإسرائيلي ليس إلّا. فوتت "حماس" على الفلسطينيين فرصة إظهار القدرة على أن يحكموا أنفسهم في ظروف حضارية متى يزول الاحتلال. كانت هناك فرصة حقيقية لدحض كلّ الادعاءات الإسرائيلية بعد الانسحاب الإسرائيلي من غزّة صيف العام 2005. فضّلت "حماس" تحويل القطاع إلى "إمارة إسلامية" على الطريقة الطالبانية بدل جعله مكانا تطيب الحياة فيه...

مع رحيل صائب عريقات، انتهت مرحلة فلسطينية تميّزت بالتفاوض من أجل التفاوض أو بالظهور في مظهر من هو مستعدّ للتفاوض في وقت لا وجود لأيّ اهتمام إسرائيلي بذلك. سيكون السؤال الذي سيطرح نفسه عاجلا أم آجلا، كيف يحطّم الشعب الفلسطيني قيود الحلقة المقفلة التي تحوّل أسيرا لها؟ هل من أمل في ذلك؟ الجواب نعم كبيرة. هذا يعود إلى أنّ إسرائيل لن تكون قادرة، مهما فعلت، على إلغاء شعب يظهر كلّ يوم أن لديه هويّة وطنية راسخة بغض النظر عن أشخاص معيّنين تحوّلوا أسرى السلطة ولا شيء آخر غير السلطة.

عودة هارون الرشيد

إبراهيم الزبيدي
كاتب عراقي

قبل توزير رئيس الوزراء الحالي مصطفى الكاظمي، كان الحديث عن العراق همّا وغما، فساد، اختلاس، تراكم ديون، ميليشيات وقحة، سلاح منفلت، قتل في الشوارع، اختطاف، عمالة علنية، إهانات متلاحقة يوجهها قادة أحزاب وميليشيات لرئاسة الجمهورية ورئاسة الوزراء والبرلمان ولكل الدولة العراقية، علنا. ودول أجنبية تصول مخابراتها وجواسيسها وسفراؤها وتجول، وكلمتها هي الفاصلة الفاعلة في رسم سياسات الدولة، وخاصة علاقاتها بجيرانها ودول العالم المختلفة.

ثم، وتحت ضربات الانتفاضة التشرينية قبل اغتيالها، زفوا لنا مصطفى الكاظمي، وهو الخارج من نفس البيضة الفاسدة، باعتباره الفارس الهمام الآتي على حصانه الأبيض لينقذ هيبة الدولة، ويرفع الظلم عن المواطن، ويعيد إليه أمنه ورزق عياله بعدالة ومساواة.

وتوقع كل عراقي ساذج أن تكون أولى ضربات الكاظمي البطولية أن يجمع كبار الفاسدين في ليلة واحدة، وضربة واحدة، فيجبرهم على إعادة ما سرقوه قبل إطلاق سراحهم، ثم بعد ذلك يجر قتلة المتظاهرين من رقابهم إلى ساحات القضاء العادل المستقل، ويكون وطنيا حقيقيا فيوقف استهتار الأحزاب الكردية وانتهازيتها وابتزازها، والتي لا تكتفي بما تنهبه من موارد نفطية وإيرادات جمركية وضريبية واتصالات ومنافذ حدودية، بل تنهب من دولة المركز رواتب موظفيها المدنيين والعسكريين الذين لا يعرف إلا الله والغارقون في العلم أعدادهم الحقيقية، ثم يعيد الوطن، أخيرا، إلى أهله سالما ومعافى. ثم طال الانتظار.

وبعد أشهر ستة من استلامه منصب رئيس الوزراء، نكتشف أنه ظل جالسا في حضن الميليشيات الوقحة، علنا دون خوف ولا حياء، بل هو فخور بذلك، ويهدد بقطع يد كل من يتكلم عنها بسوء، وأنه مخلص في تنفيذ أوامر الولي الفقيه وتوجيهاته، وأنه يحترم الفاسدين ويقدرهم ويتشاور معهم، وأنه لطيف ورقيق وكريم مع جماعة كردستان، فقد اقتطع من الدولة العراقية سنجار وقدمها هدية متواضعة لصديقه وحليفه كاكه مسعود البرزاني، وفي ذروة الأزمة المالية يحوّل إليه ثلاثة مليارات ونصف المليار من الدولارات وليس الدنانير، في مخالفة صريحة للدستور والقانون، مجاملة ولكسب دعمه في أيامه القادمة، ووفاء لإقامته عنده حين كان موظفا بصفة مدير إداري لمجلة أسبوعية يملكها كاكه برهم صالح براتب ألفي دولار أميركي فقط لا غير.

يقول عدنان الزرفي، وهو الذي رُشح، قبل الكاظمي، لرئاسة الحكومة ثم تم رفضه إيرانيا، إن العراق يحتاج في الشهر القادم إلى خمسة مليارات دولار لتسديد الديون الداخلية والديون الخارجية والنفقات السيادية ورواتب الموظفين، ومع انخفاض أسعار النفط فإن ما سيدخل لخزينة الدولة هو فقط مليارات، وبذا سيكون العجز ثلاثة مليارات.

وفي عز هذه الأزمات المالية، ناهيك عن الأمنية والغذائية والدوائية، نكتشف أن وزارة التخطيط اقترحت، ووزارة المالية أيدت، ومجلس الوزراء أقر، والبرلمان صادق على منح رئيس الوزراء مليونا وثلاثمئة وخمسين ألف دولار، لا سنويا ولا شهريا ولا أسبوعيا، بل يوميا، نعم يوميا، تحت بند منافع اجتماعية ينفقها كما يشاء، لا يسأله عنها أحد.

ويقول نائب عراقي سابق إن هذا لم يفعله، قبله، حتى صدام حسين الذي كان هو الرئيس والحكومة والحزب والبرلمان. والذي فعلها فقط هارون الرشيد.

ولكن لو كان رئيس الوزراء مصطفى الكاظمي من بقية أهل هارون الرشيد لقلنا إنه ورث خصلة الولع الفطري بنثر الدنانير. ولكن لأنه من فئة الكارهين لسلالة هارون الرشيد، والحاقدين عليه، وطلاب الثأر من أي شيء يُذكرهم بما فعله بأشقائهم البرامكة فليس هناك تفسير لما يفعله بأموال العراقيين، رغم أن الدولة العراقية تحولت، بجهوده وجهود أسلافه غير الصالحين، إلى دولة تسول يقودها متسولون.

هذا طبعا عدا راتبه الشهري وتكاليف حمايته ورواتب مساعديه ومستشاريه ومرافقيه، وعدا أيضا ما خوله به نظام مجلس الوزراء من حقوق في توقيع العقود وأوامر الصرف الأخرى.

ولطمأنة العراقيين أعلن المكتب الإعلامي لرئيس الوزراء عن إقرار قانون الاقتراض لدفع رواتب الموظفين. أليست حكاية من حكايات أيام هارون الرشيد؟

قمة العشرين: السعودية تتوج تحولاتها التاريخية

عمر علي البدوي
صحافي سعودي

تتهيأ السعودية لدخول مرحلة جديدة، باستضافتها قمة القوى الاقتصادية العشرين، لتفصح عبرها عن جوهر تحولاتها النوعية، وإدماج مشروع التغيير الذي بدأته خلال السنوات القليلة الماضية في السياق المعولم بقيمه وسياساته وبناه الفكرية وخلفياته الحضارية.

تتبنى السعودية مفردات عالم جديد منفصل تماما عن شكل العالم القديم، أو إطار العالم الثالث الذي بقي لعقود بمثابة حكم أبدي على دول الشرق الأوسط التي أكرهت على المكوث في الطرف المخذول من الكون.

وعلّق رئيس مركز أبحاث "غلوبال سوليوشنز إنيشياتيف" دينس سنور على الأمر قائلا "عندما تتولى السعودية رئاسة مجموعة العشرين، ستصبح أول دولة (عربية) تقود هذه الهيئة الحكومية الدولية".

وجاء في تغريدة له على حساب مؤسسته، أن رئاسة السعودية لمجموعة العشرين "توفر لها فرصة لفتح البلاد ومجتمعها، وإظهار مدى قدراتها على معالجة المشكلات العالمية".

إلى أي حد سيكون احتكاك جيل سعودي وعربي كامل مع هذه المناسبات النوعية، بكل حمولاتها الفكرية والسياسية والاقتصادية، مؤثرا ومحركا في عملية التغيير والتحول، على المستوى المحلي والإقليمي، لمنطقة طالما عانت من تواضع أحلامها وضعف الثقة بنفسها، وانطوت تواجه مشكلاتها في ركام من الأحداث والوقائع التي تنزلق إليها بلا نهاية.

دفعت السعودية بنخبة من شبابها في مجموعات التواصل والعمل داخل قمة العشرين، ثماني مجموعات تعاونية مستقلة تقودها منظمات المجتمع المدني في البلد المضيف للقمة، تتنوع أعمالها بين الفكر والشباب والمرأة والعمل والعمال والعلوم والمجتمع المدني.

ويقدر أن يتجاوز عدد ما تستضيفه المملكة من مناسبات ويعقد فيها من مؤتمرات، في إطار القمة هذه، المئة مناسبة ومؤتمر، بما في ذلك اجتماعات وزارية.

على الصعيد الدولي والسياسي، ربما يساعد استقطاب هذه القوى، لتجتمع على طاولة واحدة، في تطوير فهمها عن المنطقة، وإدراك الآثار المترتبة على تدخلاتها المتضاربة في تأبيد واحتباس الإرادة السياسية وانسداد الأفق الاستراتيجي.

تمثّل الرياض وجهة النظر المعتدلة حول أدوار الفاعلين الدوليين وتدفعهم لتقليص الشرور في الشرق الأوسط وتوسيع دائرة الأمل في الوصول إلى تسويات ودعم سياسات التقارب المنصف والمربح للمتنافسين.

ويفتح استقطاب القوى الباب لتعزيز تنوع سلة المساهمين في المنطقة، في ظل التراجع الأميركي. وباستدعاء عمالقة التكنولوجيا وأوعية التقدم التقني في العالم سيساهم المنتدى في تسريع أتمتة العمليات الحكومية، وإدخال مفردات العصر الرقمي الجديد وفضاءات التفكير المتطور في التعليم، واستقطاب الاستثمارات الواعدة إلى منطقة أوهن شبابها التشاؤم وغياب الأمل وانعدام الاستقرار وتعكر الأجواء.

انعقاد القمة يؤسس لحالة الخليج الجديد وقد أضحى مركز العالم العربي وقاعدة انطلاقه ويزداد زخما بدعوة الإمارات للمشاركة بصفتها رئيس دورة مجلس التعاون الخليجي وشريكة الرياض في رسم واقع جديد

تشكلت مجموعة القوى العشرين الاقتصادية في لحظة ضعف عالمي وأزمة اقتصادية خانقة في التسعينات، واكتسبت زخما برفع درجة المشاركين فيها على مستوى الزعماء والقادة عام 2008، وتنعقد القمة الحالية الآن في ظروف مماثلة، لتذكّر بقيمة التعاون الدولي وتوزيع أعباء المسؤولية على المجتمع العالمي.

كما أنها تفتح فرصة ثمينة ومهمة للمنطقة بأن يرتفع صوتها وتحوز حقها في التعبير والإدلاء بهواجسها ووجهة نظر عواصمها حول خطط الخروج بالعالم والمنطقة من أسر الظروف القاهرة، ويصيخ لها العالم سمعه ويقر بأن أي دور ستلعبه المنطقة مستقبلا ينبغي أن يأتي من أبواب القمة المشروعة ومبادئها.

ولنأخذ على ذلك مثال الاتفاق النووي السلبي الذي أبرم عام 2015 بين إيران ومجموعة الخمس زائد واحد، وكيف أن عواصم المنطقة أخذت على حين غفلة، واندفعت عواصم أوروبية للموافقة لدوافع اقتصادية، ليكتب للاتفاق الفشل، بعد أن جرّ على المنطقة نصف عقد من كوارث تسببت بها الجرأة السلبية لحكام إيران. وهو ما شجع مؤخرا أنقرة على سلوك نفس الطريق التخريبي لإرساء مشاريعها التوسعية. وكان بالإمكان تلافي كل هذا لو اتخذ رأي العواصم المركزية المعنية بالأمر في المنطقة.

العقدة الرئيسية لهذه المنطقة هي التنمية المتعثرة، وهي مفتاح الخروج من احتباس الواقع واحتواء التدخلات والمشاريع التوسعية، خاصة وأن الشرق الأوسط يسجل كبقعة جيوسياسية أعلى معدلات التدخل الخارجي، والاستباحة من مشاريع أيديولوجية إقليمية.

ولأن التنمية متشابكة مع الواقع بكل أعبائه السياسية، وجب تطوير استراتيجية عمل تنقذ الحكومات من نذر الفشل، وتخفف من وطأة الأدوار السلبية المعرقلة لكل مجهود تنموي.

أي محاولة لنفي السلوك السياسي، بنوعيه السلبي والإيجابي، تبدو مستبعدة ومعقدة الآن، ولذلك فإن رفع مستوى العمل الحكومي لدول المنطقة وإرساء قواعد تشارك نفعي وسلس مع القوى الاقتصادية تتجاوز ارتهانات الواقع، بمقدورهما أن يخففا من مخاطر المغامرات الهامشية التي تلهي الأجيال وتفسد عليهم أي فرص مستقبلية متوقعة.

وحول ذلك قال ولي العهد الأمير محمد بن سلمان "نحن نؤمن أنّ هذه فرصة فريدة لتشكيل توافق عالمي بشأن القضايا الدولية عند استضافتنا لدول العالم في المملكة".

السعودية الراهنة مهتمة بتجاوز الحالة الاحتفائية للمناسبة وصولا إلى قيمتها الجوهرية، وأن تتوقف عن مبالغات الادعاء إلى مباشرة المهام، في ضوء الروح العملية والحركية التي تتبناها وتلتزم بها مؤخرا.

كما يؤسس هذا المنتدى لحالة الخليج الجديد والمختلف، وقد أضحى مركز العالم العربي وقاعدة انطلاق مستقبله المنظور، وبدعوة دولة الإمارات للمشاركة بصفتها رئيس دورة مجلس التعاون الخليجي، وشريكة الرياض في رسم واقع جديد، تتسع دائرة الأثر المتوقعة لهذا الحدث، بتعزيز التحول الجديد الذي شرعت فيه الرياض.

ومع ما يبدو أنه مشوار طويل لصناعة الفرق، تبدو السعودية مصممة على التحدي ومقبلة عليه بكل إمكاناتها الثقافية والاقتصادية والسياسية والفكرية.

العرب
أول صحيفة عربية صدرت في لندن
1977 أسسها
أحمد الصالحين الهوني

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير المسؤول
د. هيثم الزبيدي

رئيس التحرير والمدير العام
محمد أحمد الهوني

مدراء التحرير
مختار الدبابي
كرم نعمة
حذام خريف
منى المحروقي

مدير النشر
علي قاسم

المدير الفني
سعيدة اليعقوبي

تصدر عن
Al-Arab Publishing House
المكتب الرئيسي (لندن)
The Quadrant
177 – 179 Hammersmith Road
London, W6 8BS, UK
Tel: (+44) 20 7602 3999
Fax: (+44) 20 7602 8778

للإعلان
Advertising Department
Tel: +44 20 8742 9262
ads@alarab.co.uk

www.alarab.co.uk
editor@alarab.co.uk